المؤتمر الجغرافي الدولي العام

الاحتفال بافتتاحه في اول ابريل

اشرنا في مقتطف ابريل الى انتظام هذا المؤتمر الآن في القاهرة وان التأمهُ يتفق مع مرور خمسين سنة على تأسيس الجمعية الجغرافية فيها وانهُ سيحتفل بفتحهِ في اول ابريل

وفي الساعة الخامسة من يوم الاربعاء اول ابريل اجتمع في الاوبرا المصرية اعضاء المؤتمر والمدعوون الى الاحتفال بافتتاحهِ فجلس اعضاء المؤتمر على الدكة المرتفعة في صدر الاوبرا وامامهم مائدة جلس حولها رئيس المؤتمر الجنرال فاكلي الايطالي وصاحب الدولة زيور باشا رئيس الوزارة المصرية وصاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس لجنة اعداد المؤتمر ورؤساء الوفود الاميركية والفرنسوية والايطالية واليابانية وفي الساعة الخامسة دخل صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول فاعلن فتح المؤتمر بالفرنسوية قائلاً (اعلن فتح المؤتمر الجغرافي الدولي العام) ثم تليت الخطب التالية

خطاب عدلي يكن باشا

رئيس لجنة تنظيم المؤتمر

مولاي :

لقد شرفتموني جلالتكم بتقليدي رآسة لجنة تنظيم هذا المؤتمر فبعثتم في نفسي سروراً عظيماً ما زال يخالجني اذ أقوم بواجب الترحيب بافضل العلماء الذين تفضلوا باجابة دعوتنا

ان الجمعية الجغرافية الملكية المصرية التي اسسها والد جلالتكم العظيم ستحتفل بعد يومين بمرور خمسين عاماً على تأسيسها . وقد قضى عطف جلالتكم الابوي وجميل عنايتكم برفع شأن بلادكم والاشادة بذكرها ان يقع هذا الاحتفال وقت انعقاد هذا المؤتمر العلمي الجليل

وان جميل الرعاية التي ما زلتم جلالتكم تشملوننا بها وما تبثونهُ فينا من روح التنشيط قد بعثا فينا الهمة والجد وقوّيا عزائمنا في العمل على تحقيق هذه الفكرة السامية

ولقد صادف ما اشرتم بهِ جلالتكم قبولاً حسناً لدى الحكومات الاجنبية والهيئات العلمية . وان اشتراك مندوبيها العظام في هذه الحفلة لدليل واضح على انها تعطف على مصر وتقدر منزلتها حق القدر واقا نقابل ذلك بجميل الشكر وعظيم الثناء

ويجدر بنا ان نؤدي شكرنا للاتحاد الجغرافي الدولي على ما بذلهُ من جميل المساعدة

للجنة تنظيم المؤتمر اذ وضعهُ تحت رعايتهِ فاتاح لنا ان نفتتح عهداً جديداً للمؤتمرات الجغرافية الدولية

وانا لمدينون للبرنس بونابرت الذي عاجلتهُ المنية قبل تحقيق ما كان يصبو اليهِ من الاغراض السامية ولصاحب السعادة الجنرال فاكلي الذي خلفهُ اذ كثيراً ما زودانا بارشاداتهما السديدة التي ساعدتنا في تذليل ما اعترضنا من الصعوبات في سبيل القيام بمهمتنا

ولا ريب ان مصر ذات الذكرى المجيدة في حقب التاريخ هي مهد العلوم ومهبط الفنون واول من بعثت البعوث التي نقشت اخبارها على جدران آثارها القديمة نقشاً صادقاً يستدعي الاعجاب

وان للجمعية الجغرافية الملكية المصرية المكانة الاولى في الاستكشافات الحديثة التي قام بها ابطال روادها الذين استحقوا ان تكتب اسماؤهم بالذهب على صفحات تاريخ الاستكشافات الجغرافية الجليلة الشأن اذ يرجع اليهم الفضل في كشف القارة المجهولة

وان ما يقوم بهِ ضيوفنا العظام من الاعمال العلمية لما يوسع نطاق العلوم الجغرافية ويزيد مادتها . ولا شك عندي انهم متى شهدوا آثار ماضينا المجيد وبهرهم جمالها لا يبخسون قدر مصر الحديثة وستنطبع في اذهانهم في اثناء اقامتهم بين ظهرانينا صورة مصر وهي تهش لضيوفها وتحفهم بالاكرام والترحيب وتبدي مزيد شغفها للاستنارة بنور العلم الحديث وتدفعها الغيرة الى الظهور في المستوى اللائق بامانيها الشريفة

اما من جهة مصر فانها تستفيد اكبر فائدة من اتصالها بهم اتصالاً نفسياً وهي تعترف لهم بجميل معونتهم في انجاح عمل من شأنهِ ان يزيد صلات التعاون العلمي بين الشرق والغرب متانة وتوثيقاً

خطاب رئيس المؤتمر

الجنرال ليكولا فاكلي

يا صاحب الجلالة

حضرات اصحاب الدولة والمعالي والسعادة . سيداتي وسادتي

ان هذا الاحتفال العظيم بافتتاح المؤتمر الجغرافي الدولي في حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم وبحضور ممثلي بلدان العالم المختلفة والاكاديميات الشهيرة والجمعيات العلمية

ومشاهير المكتشفين والعلماء الذين جعلوا لهُ شأناً عظيماً خاصاً باشتراكهم فيهِ ، كل ذلك يجعلني اشعر تماماً بالشرف العظيم الذي تاليَ برآستهِ ، وهو شرف يصيب الدولة التي امثلها ايضاً

وان المؤتمر الدولي الحادي عشر هو آخر حلقة في سلسلة الاجتماعات التي بدأت في انفرس سنة ١٨٧١ والتي رأينا آخر مظهر من مظاهرها في روما سنة ١٩١٣ . ولكنهُ في الوقت عينهِ الحلقة الاولى من سلسلة جديدة نعد لها نحن الآن مستقبلاً اكيداً

وقد كانت مهمة تنظيم المؤتمرات الجغرافية الدولية تنتقل في السابق من امة الى امة وكانت الجمعيات الجغرافية المختلفة تعنى بهذا التنظيم في كل بلاد . وهكذا كان مكتب « المؤتمرات الدولية » يتنقل من عاصمة الى اخرى . نعم ان قواعد نظام الاعمال كانت واحدة في كل مكان . ولكن كل مؤتمر كان يتوصل في نهاية الامر الى اتخاذ شكل خاص ولا خلاف في مزايا هذا الاسلوب وفوائده من بعض الوجوه ولكنهُ في الحقيقة كان يؤدي احياناً الى انقاص القيمة الدولية الصرفة والصبغة العلمية اللتين كان يجب ان تمتاز بهما اجتماعات يعقدها علماء الجغرافية في اوقات معينة

وقد ادت الحرب العظمى التي عكرت صفو العلاقات الدولية الى تراخي الصلات التي كانت بين طائفة العلماء من جميع الامم والشعوب . وظهر لنا وشن نستأنف هذه الصلات ان تجارب الماضي ومراعاة احوال العالم الجديدة تقضي علينا بتجديد هذه الصلات وتعزيزها وايجاد هيئات وجماعات جديدة

وقد عقد مؤتمر في لندن في اكتوبر سنة ١٩١٨ برعاية « الجمعية الملكية » لعقد اتفاق علمي دولي ثم عقدت اجتماعات اخرى احدها في باريس في شهر نوفمبر من السنة عينها والثاني في بروكسل في يونيو سنة ١٩١٩ . وكان الغرض منها انشاء « مجلس دولي للبحاث » يمهد السبل الى التعاون بين الدول في الشؤون العلمية ويساعد على تأليف « اتحادات دولية » كل منها يعنى بعلم واحد خاصة

وقد نشأت عن ذلك عدة « اتحادات » منها « الاتحاد الجغرافي » واعلن خبر انشاء هذا الاتحاد في سنة ١٩٢٦ ولكنهُ لم يتمم نظامهُ الاساسي الاَّ في بروكسل في شهر يونيو سنة ١٩٢٢ . مع انهُ لم يمض وقت طويل على هذا التاريخ الاخير فقد بلغ عدد الدول التي اشتركت في « الاتحاد الجغرافي » ١٤ دولة وهي : افريقية الجنوبية والبجيك ومصر

واسبانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وايطاليا واليابان والمغرب الاقصى وبولونيا والبرتغال وسربيا وتشكوسلوفاكيا

وقد انشأت كل من هذه الدول او هي تنشئ الآن «لجنة جغرافية دولية» لاتقتصر مهمتها على السعي الى الغاية التي يتوخاها « الاتحاد » بل تتعدى ذلك الى تنظيم القوى القومية للمساعدة على تقدم علم الجغرافية وفقاً لخطة معينة تلائم مقتضيات العلم في هذا العصر

ويمكنني ان اقول ان مزايا هذه الخطة قد ظهرت الآن للعيان . واذا اردنا ان نخص شخصاً بالفضل في بلوغنا الى هذه النتيجة فمن الواجب ان نسمي هنا ذلك الرجل الذي راس الاتحاد الجغرافي الى اليوم بكل كفاءة ولياقة (البرنس بونابرت) . فوفاته يجب ان لا تنسينا فضلهُ العظيم وخبرتهُ الواسعة في جميع المباحث التي ندرسها وانهُ هو الذي كان يجب ان يرأس مؤتمرنا هذا لو اطال الله عمره

فلنحي الآن ذكراهُ بكل تجلة واحترام

وقد حملت تجارب الماضي « الاتحاد » على ان ينظر الى تعزيز عرى الصداقة الشخصية بين علماء الجغرافية وتمهيد سبل المنافسة في المسائل الجغرافية والمساعدة على تبادل المعلومات بين البلدان المختلفة نظرهُ الى اغراض لا يمكن الحصول عليها اذا اقتصر على عقد اجتماعات عامة « للاتحاد » لذلك لم نرَ بدّاً من عقد مؤتمرات جغرافية حقيقية فان هذه المؤتمرات التي تجمع بين علماء الجغرافية وبين الذين يهتمون بهذا العلم وليسوا من اعضاء اللجان يمكنها ان تؤدي الى توجيه انظار الحكومات الى علم الجغرافية والى الفوائد التي تنشأ عنهُ . وهذا هو السبب الذي حمل « الاتحاد » على ان يقرر ضرورة الاستمرار على تنظيم المؤتمرات الدولية وان يأخذها تحت رعايته . والمؤتمر الذي نفتتحهُ اليوم هو اول مؤتمر يعقد برعاية « الاتحاد »

على ان منظمي المؤتمر الحالي — الذين اشكر لهم منذ الآن باسم الاتحاد ما بذلوهُ من الهمة والجهد — قد احسنوا في وضع برنامج غير منفصل تماماً عن الماضي بل يمكن ان يعد تتمة لهُ

وان الجمعية الجغرافية الملكية المصرية هي التي وضعت نظام المؤتمر ومما يجدر ذكرهُ ان هذا المؤتمر يعقد في تاريخ خطير الشان اي في السنة التي تحتفل بها الجمعية الملكية المصرية بمرور خمسين سنة على تأسيسها . وهذا التاريخ ذو مغزى عظيم يدركهُ كل من

لعرف ما قامت به هذه الجمعية من الاعمال الخطيرة الشان التي ليس من شأني الآن ان اعددها بالتفصيل

وان الجمعية الملكية المصرية قد جمعت حولها بحق ممثلي جميع الجمعيات الجغرافية في العالم وان الاتحاد الجغرافي يبتهج بهذا الاحتفال الذي يتفق تماماً مع المهام الملقاة على عاتقه والذي يكفل له اتفاقاً في النية والغاية يزداد قوة مع الزمن

و يسر الاتحاد ان يعترف بالنتائج الملائمة التي نشأت عن توسيع نطاق الجمعيات الحرة في القرن الماضي وعن الاعمال التي تمت على يدها من الوجهة العملية . فانلم يكن مصدر هذه الجمعيات جمعية لندن التي هي اقدمها كلها فانها قد نسجت على منوالها واتخذت برنامجاً مماثلاً لبرنامجها ووضعت امام عينها اغراضاً كاغراضها . وقد ساعدت باعمالها المباشرة ونصائحها وارشاداتها والاقتراحات التي قدمتها للحكومات مساعدة عظيمة على اكتشاف البلدان المجهولة او التي لم تكن معروفة تماماً وعلى تقدم الجغرافية العلمية تقدماً سريعاً

على ان مهمة الجمعيات الجغرافية لم تنته بعد . ولا يمكن ان نلقي ما يعرقل سيرها من اللجان الجغرافية المحلية ذات العدد المحدود من الاعضاء . وهذا المؤتمر الذي نفتتحهُ اليوم دليل جلي على التعاون المثمر الذي سيتم قريباً . فان التزعة — اسمحوا لي ان استعمل هذا التشبيه الذي اوحتهُ اليَّ البلاد العجيبة التي تظلنا سماؤها الآن — لا تعرقل سير النهر بل بالعكس ، تجعلهُ اعظم فائدة للملاحة والري وارتقاء البلاد التي يجتازها

ان مؤتمر القاهرة لا تنحصر اهميتهُ بكونهِ انهُ يمثل المواصلة بين المؤتمرات الدولية الجغرافية في الماضي والمؤتمرات الدولية الجغرافية القادمة بل هو مظهر بديع لمقدار اعتبار مصر للمسائل الجغرافية وهو في الوقت نفسهِ احسن فرصة اتيحت لجميع علماء الجغرافيا لزيارة هذه البلاد التي هي مهد علم الجغرافيا ، فهذا ما يجب ان اسمي بهِ البلاد التي نتمتع في هذه الايام بالحفاوة الودية العظيمة فيها

اذا كانت الجغرافيا لم تظهر في بادىء امرها على ضفاف النيل فانها في هذه البلاد تلقت اسمها المميز لها ووجدت في اراتوستينيس وبطلميوس استاذيها الكبيرين، وهما اللذان ظهر فضلهما في ذلك العهد القديم وتجددت تعاليمهما في خلال القرون الوسطى، وهما الموحيان بذلك المشروع الذي جعل طرسطفوروس كولمبوس اسماً مجيداً واليهما يرجع الفضل في الاشارة بالسفر البحري في المحيط وهو الذي افضى الى اكتشاف رياح المحيط الهندي،

والملاحون الذين استفادوا من تلك المعلومات قاموا قبل «فاسكودي غاما» بالف وخمسمائة سنة باجتياز البحر من الشمال الشرقي الافريقي حتى شاطىء الهند

ان هذه البلاد هي مهد علم الجغرافيا بالنظر الى علماء الجغرافيا العظام الذين انجبتهم والى ما كان لها من الاشتراك والمساعدة في المعارف والمعلومات الجغرافية ثم بالنظر الى الفرص التي قدمتها في الماضي ولا تزال تقدمها للباحثين والمفكرين للبحث في المسائل العلمية والعملية الجغرافية الكبيرة . واذكر في هذا المقام فيضانات النيل اشارة الى اهم المسائل الجغرافية التي تهم مصر لحالة منابع النيل كانت من جملة المواضيع التي تناولها البحث في الزمن القديم وكانت ذات شأن عظيم حتى عهد حديث ، وتليها مسائل خزن مياه النهر وتقدم الدلتا قسائل الصحارى التي هي ملحقات طبيعية بوادي النيل . فاي بلاد افضل من هذه البلاد لدرس مسألة التقلبات والتغيرات الجوية التي جرت في الازمنة القديمة ، ومن يستطيع ان يرى ان هناك مجرد اتفاق في ان النيل كان مصدر الرأي الذي عرضهُ العالم الايطالي عن عصر ممطر في افريقيا مماثل ومقارب للعصر الجليدي

واذا تركنا الجغرافيا الطبيعية ونظرنا الى الجغرافيا التاريخية فاي مثل يؤثر في النفس اكثر من علاقة شعب وتاريخه كله بالاحوال الطبيعية في بلاده. ففي هذه الواحة الواسعة الارجاء المكتنفة بمساحات كبيرة من الصحاري قد اجتمعت احوال شتى عديدة استطاع معها شعب كثير العدد ان يتقدم ويبلغ مدنية متفوقة ممتازة ، شعب ممتاز بقوة حيوية عظيمة مكنته من الحياة والبقاء في خلال التحولات والفتوحات والغزوات مع تغير المظهر واللغة والدين ، هذا هو الشعب الممتاز بالقوة الحيوية وروح الحضارة القوي الذي كان يجدد عزمه ونشاطهُ كلما لاح انهُ قرب من الشيخوخة والفناء ، وكان كلما تغيرت احوال العالم الاقتصادية والسياسية مستعداً دائماً للاستفادة باحسن النتائج من المزايا والمنافع التي تقدمها لهُ الارض والمياهُ والجو من جهة ومن مركزه الجغرافي وموقفهِ بين الامم من جهة أخرى ، والواقع ان هذا المركز تجتمع عندهُ قارتان ويلتقي عندهُ محيطان ، فهذا المركز المتوسط الذي هو في منتصف طريق الغرب الاوربي الى الهند قد جعل مصر دائماً — في عهد الفراعنة وكذلك في عهد البطالسة وعهد الرومان وعهد نبوليون ثم في عهد مصر الحديثة — في المقام الممتاز في تاريخ العالم الاقتصادي والسياسي ولقد كانت مصر من الوجهة الجغرافية ذات مهمة عرفت دائماً كيف تقوم بها وكان القدماء يسمونها مركز العالم وقد سموها ايضاً « عين العالم »

حضرة صاحب الجلالة . حضرات السيدات والسادة

ان مصر في الآن ايضاً مركز « عالم الجغرافيا » ولقد جاءها علماء الجغرافيا من البلدان البعيدة للتعارف وتبادل الافكار والآراء وبسط نتائج ابحاثهم وتقدير التقدم الذي بلغوه والسير في سبيل مشروعات جديدة ، فاي وسط يمكن ان يكون خيراً من هذا الوسط الذي نحن فيه لنرى الطريق الذي اجتزناهُ ونعد العدة لمراحل جديدة . انهُ يظهر لنا من تاريخ نهضة مصر الحديثة وتاريخ الامم الاخرى ان التجديد الحقيقي لكل تقدم في بلد من البلدان هو المعرفة التامة لاحوالها الجغرافية الخاصة واحوال البلدان التي تدخل في دائرة علاقاتها الاقتصادية والادبية وهذه الدائرة واسعة جداً في العالم الحديث حيث يكاد التبادل يصبح عاماً وانكم لترون من ذلك كيف ان الجغرافيا التي تعلمنا احوال البلدان الحالية والسكان وكيف ان التاريخ الذي يبين لنا تجارب الماضي كانا وسيبقيان دائماً بمثابة الاعين التي ينظر بها رجال الحكومات . ولما كانت الشعوب الآن تحكم نفسها وان يكن ذلك في ظل الرعاية والادارة السامية من الملوك والرؤساء الذين يتولون الحكم بالارث او بالانتخاب فان هذه العلوم هي بمثابة الاعين للجميع لان الجميع يشتركون في الحياة العامة مباشرة او بالواسطة . ولقد ذكرت حقيقة تعرفونها ولكنها لم ترسخ بعدُ رسوخاً تاماً في اذهان الناس

وهذا ما نسعى عظماء الرجال في دول كثيرة يأسفون لهُ ، وما يجب ان يحملنا على القيام بسعي اجماعي لبث الدعوة والادلاء بالحجج العملية واننا سنوفق في هذا السعي بمساعدة علماء الجغرافية في مختلف البلدان . ولكن مساعينا ستكون اعظم شأناً اذا ايدتها رغبة مؤتمر دولي خطير الشان كالمؤتمر الحالي

ويجب علينا ان ننهج خطة من شأنها ان تجعل مؤتمراً كهذا المؤتمر بمثابة خطوة واسعة في سبيل التعاون الدولي في الشؤون العلمية وهذا التعاون تزداد فائدتهُ اذا امكن جعل المجهودات الشخصية اقرب الى الوحدة والمشاركة والابحاث العتيمة اقل مما هي الآن واذا عدل الباحثون عن القيام بابحاث جديدة لا يراعون فيها المعلومات المكتسبة في الماضي اي اذا عدلوا عن اهمال تجارب الآخرين

اما الوسائل التي تساعدنا على بلوغ غايتنا فهي تبادل الاساتذة وتبادل النشرات وتسهيل الاستفادة من دور الكتب ومجموعات الخرائط وتعزيز المجلات الجغرافية ذات الصبغة الدولية ونشر الكتب والمؤلفات وما شاكل ذلك

وليست المشروعات الجغرافية التي تنفذ بالتعاون الدولي اقل شأنًا مما تقدم . فمن هذه المشروعات مشروع اصبح امرهُ معروفًا للجميع وهو وضع خريطة للعالم مقياسها واحد في المليون وهناك مشروعات اخرى ليست اقل شأنًا وان لم تكن عظيمة كالمشروع الآنف البيان

وان مشاكل عديدة تجعل الاتفاق صعبًا على الابحاث التي يجب ان تجري لدى الدول المختلفة سواء فيما يتعلق بالمشاكل الخاصة التي ينبغي درسها وحلها او بالمشاعب الشخصية التي يجب انقاصها ، كتوحيد المقاييس والاصطلاحات وتهيئة اسماء المدن وغير ذلك

ولا يخفى ان مثل هذا التعاون لا تقتصر فائدتهُ على المساعدة في استكشاف سطح الكرة الارضية بل تتعدى ذلك الى جميع المباحث العلمية

هذه هي خلاصة موجزة لرغائب الاتحاد الجغرافي الذي يعتقد ان المؤتمرات الجغرافية يجب عليها هي ايضًا ان تساعد على القيام بالمهمة المشتركة

وقد جاء في الامثال ان الرجل الذي يريد ان يسافر مطمئنًا مراحل طويلة يحسن به ان يختار طريقًا يقوم الى جانبيها جداران، وحينئذٍ يظل في مدة سيره محدقًا بالارض البيضاء الكثيرة الغبار على ان بعض اللهو بين حين وآخر يسهل التقدم ويشجع على تذليل العقبات . والجغرافيا هي ايضًا في حاجة الى مثل هذا اللهو الذي يكون في الوقت نفسه من اعيادها . فهي في حاجة الى الاعياد الاولمبية . وان هذا العيد الذي نحتفل به اليوم سيظل بلا جدال عيدًا مشهورًا في تاريخ علم الجغرافية

تاريخ علم الجغرافيا

خطبة الاستاذ ادورد لوثر ستيتنسن المندوب الاميركي

يا صاحب الجلالة

و يا صاحب الفخامة رئيس المؤتمر الجغرافي الدولي

و يا دولة رئيس لجنة تنظيم المؤتمر

و يا حضرات المندوبين

و يا اهل هذه المدينة القديمة الشهيرة

ان لساني قاصر عن الاعراب عن سروري الفائق بهذه الزيارة الاولى لمهد المدنية القديمة الاولى حيث تحول الناس في فجر العالم الى تمهد العلوم والآداب والفنون

الا يسمح لي في هذا المقام بان اشير الى نفسي انني رجل قدم من العالم الغربي البعيد الذي قد يكون الاتلنتس[١] المذكور في خرافات الاقدمين ويقال ان كاهنًا قديمًا من كهنة بلادكم روى قصتهُ رواية مشوقة فرآها افلاطون جديرة بالاعادة والتكرار. ثم هل لي ان اقول فوق ذلك اننا نميل في لغة الشعر الى وصف ذلك العالم الغربي بحديقة هسبريديس[٢] التي تغنى بها هزيود[٣] ولو ان كثيراً من الاوصاف التي ذكرها لا تنطبق عليها

اني احمل تحية ذلك العالم الغربي الى هذه الحفلة، حفلة افتتاح المؤتمر الدولي العظيم، الذي شملتموهُ جلالتكم بجودكم والذي قدمتم فيهِ جلالتكم برهانًا على اهتمامكم بارتقاء العلوم والفنون. ويلوح لي ان خير كلمة استطيع التفوه بها في حفلة الافتتاح هذه، هي كلمة تتناول تاريخ علمنا منذ بدايتهِ الاولى الى ان بلغ المكان الرفيع الذي يشغلهُ الآن بين سائر العلوم

اظن اني لا اخطئ اذا قلت ان الجغرافيا علم من اقدم العلوم ولا اغالي في تقدير هذا العلم اذا قلت انهُ شامل متصل بجميع العلوم الاخرى. ومن رأي استرابون[٤] ان الجغرافيين اوفر الناس حكمة وانهم كلهم فلاسفة. وقد نشر بيانًا في مقدمة كتابهِ العظيم باسماء الرجال الممتازين وقال انهم كلهم فلاسفة وانهم كلهم جغرافيون

ان الصعوبة التي تعترض الباحث حين يجتهد ان يراجع ارتقاء علم الجغرافيا منذ نشأتهِ هي في محاولة جمع تاريخ يُعتمد عليهِ من اساطير لم تثبت حقيقتها

ولما كنا على جانب كبير من التأكد ان عقل الانسان ارتقى ارتقاء بطيئًا وان الانسان ناضل نضالاً شديداً طويلاً ضد اعداء اقوياء ولم يتغلب على القوى التي تكتنفهُ الاَّ تدريجيًّا، اقول لما كنا نعلم ذلك كلهُ فاننا لا نجد حيلة غير الاندفاع وراء التخمين والظن اذا اردنا الوقوف على ارائهِ في شأن البلدان الواسعة التي كانت تحيط بالبقعة الضيقة التي كان يقطنها. ثم نسأل دون ان نفوز بجواب هل كانت معرفتهُ الجغرافية مقتصرة فقط على البقعة التي يتجول فيها وهل كان يعرف شيئًا عن وجود بقاع اوسع

---

(١) الاتلنتس جزيرة ذكرها افلاطون وقال انها الى غرب المضيق المعروف الآن ببوغاز جبل طارق (٢) هسبريديس في المثولوجية اليونانية الحدائق التي تحميها حوريات هسبرس اخي اطلس والتي قصدها هرقل لتحصيل احدى ثمارها (٣) شاعر يوناني قديم يظن انه عاش في القرن الثامن قبل المسيح وبعد هوميروس بنحو قرن (٤) مؤرخ وعالم جغرافي يوناني ولد حوالي سنة ٦٣ ق. م

تمتد الى جميع الجهات ؟ ليس لدينا سوى جواب مبني على الزعم والتخمين فيما يتعلق بالآراء التي ارتآها حينما وقعت عيناهُ لاول مرة على البحر الواسع ورآهُ يمتدُّ امامهُ الى مسافات شاسعة حتى خيَّل اليهِ انهُ يلتقي بالسماء

وانقضت قرون على ذلك العهد المظلم قبل ان نجد اول دليل على محاولة وصف الارض او وصف جزء منها . وقد وجدتُ في كثير من البيانات الجغرافية العتيقة التي وصلت الينا اراء وافكاراً لم تبنَ على مشاهدة او امتحان لاحد المعاصرين بل تضمنت معلومات استقيت من مصادر عريقة في القدم يجب ان توضح اصولها وتواريخها بين الامور التخمينية . وهذا يقودنا الى اصول الاعتقاد الهندي بان الارض قائمة على ظهر سلحفاة او فيل ضخم والى رأي البراهمة ان الارض زهرة من ازهار النيلوفر المتفتحة طافية على سطح المياه والى رأي المصريين القدماء بان السماء قبة واسعة مرتكزة على الجبال

ثم جاء اليونان فوضعوا علماً لوصف الكون مبنيًّا على التخيل مثل الشعوب التي سبقتهم وانتقل معظم ارائهم هذه الى الشعوب التي خلفتهم في نشر لواء الحضارة فذكروا حتى في العصور الاولى الشرق بانهُ بلاد الغنى والثروة الواسعة والشمال بانهُ مهد سكان الشمال السمداء والجنوب بانهُ مسكن الاحباش المسالمين والغرب بانهُ مهد ما يأخذ اللب من الخيال والخرافات . ففيهِ كانت الجزائر الطافية وجزائر السعادة وجزائر المباركين ومركز جميع مجاري الاوقيانوسات حيث قطنت في الازمنة الغابرة امة غنية منيعة الجانب وفيهِ ايضاً حقول الليزيا(*) مسكن الابطال الذين يخلون من مخالب الموت حيث الحياة خالية من الهموم والمتاعب . وهكذا ترى للغرب في تصورات العصور الاولى شأناً جغرافيًّا خاصًّا

ومع ان كثيراً من المذاهب القديمة تبدو وهمية فانها تبين بداية الاهتمام بالمظاهر الجغرافية . وقد ارتقى علم الجغرافيا من هذه الاصول الضئيلة الى ان وصل الى مقامهِ الحالي الرفيع . ولا بدَّ ان تكون اكثر المذاهب الجغرافية امعاناً في الوهم كالقول بالجزائر وراء اعمدة هرقل قائماً على شيء من معرفة الاراضي غرب الاتلنتيكي وقد بقي كثير منها مشهوراً في القرون التالية فاثر في الاراء الجغرافية حتى بعد ان كشف كولمبوس اميركا

كان الافق في نظر الشعوب القديمة ضيقاً كما اشرت الى ذلك قبلاً لا يتعدى المنطقة

(*) حقول الليزيا في الميثولوجية اليونانية مقام الابطال المباركين بعد الموت وصفها هوميروس بانها عند طرف الارض الغربي قرب الاوقيانوس وقال هزيود وبندار الشاعران انها في جزائر السعادة . ومن هذه الخرافات نشأت خرافة الاتلنتس التي ذكرت آنفاً

التي يعيشون فيها فكان من الجرأة العظيمة اختراق هذا الافق والدخول في المنطقة الواقعة وراءه وارتيادها وليس لدينا الآن سوى حقائق ضئيلة عن الاعمال التي قام بها الناس قديمًا للوصول الى تلك الغاية . ولكن نُقل من ذلك العهد الى العصور التالية اقاصيص عن رحلات واسفار وسّعت معارف الشعوب عن وجود بلدان اخرى في انحاء الارض البعيدة. وقد تكون حكاية الارغونتيين[٦] حكاية بعثة بحرية حقيقية على جانب كبير من الاهمية بحيث جعلت لها علاقة بحياة الابطال وانصاف الالهة. اما قصة عولس[٧] ورحلاته فانها تذهب بنا الى جزيرة فاروس عند مدخل مرفإ الاسكندرية وتشير الى مصر والنيل وشعوب الجنوب وآكلي اللوتس. على ان هذه القصة ليست قصة رحالة فقط بل هي بيان المعارف الجغرافية في ذلك العصر بعد ان جمعت بالسفر والارتحال

وللفينيقيين مقام كبير في توسيع المعارف الجغرافية . فقد استولوا في القدم على التجارة التي كانت بين المصريين في وادي النيل والبابليين في ما بين النهرين. وهم الذين ضربوا في البحر غربًا في اواخر ايام قرطاجنة فاجتازوا بوغاز جبل طارق ووصلوا الى جزائر القنار ثم خاضوا عباب الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الشمال فخطوا رحالهم في جزائر سكلي[٨] ومقاطعة كورنول في بريطانيا . وقد يكونون طافوا بحرًا حول افريقية قبل ان فعل ذلك فاسكو دي غاما بالفي سنة. وانشأوا مستعمرات تجارية بعيدة عن وطنهم الاصلي فنشأ فيها اهم المراكز التجارية التي ترصع شواطئ بحر الروم كما تشهد بذلك اسماء هذه المستعمرات . ثم تقدمت المعارف الجغرافية حينما شرع اليونان ينشئون مستعمراتهم على شواطىء البحر الاسود (اليوكسن) وبحر الروم . فانشاء هذه المستعمرات وسّع المعارف الجغرافية توسيعًا سريعًا مطّردًا فبعث على البحث عن احوال تلك البلدان ووصف طبيعتها فنجم عن ذلك ما حمل العلماء على التكهن في الاجابة عن المسائل الجغرافية الكبرى كالتي تتعلق بتكوين الارض وتركيبها وما من احد كان اقوى اثرًا في الحث على هذه الابحاث من بيثياس المسالي او المرسيلي[٩]

---

(٦) الارغونتيين هم الابطال الذين سافروا مع ياسون في السفينة ارغو حينما ذهب يبحث عن السنج الذهبي (٧) عولس احد ابطال اليونان الذي حاربوا في حروب طروادة وبعد هذه الحروب حاول الرجوع الى بلاده فحملته الرياح الى شواطىء افريقية (٨) جزائر سكلي او خبيل انكليزي صغير على ٢٥ ميلاً الى الغرب الجنوبي من طرف كورنول بانكلترا (٩) ملاح وجغرافي يوناني منهُ عرف اليونان وصف غرب اوربا والجزائر البريطانية . والراجح انه كان معاصرًا الاسكندر ذي القرنين

ان البيان الذي يشمل اسماء الذين قاموا بخدمات جليلة للجغرافيا بيان طويل حتى ولو اقتصرنا على ذكر علماء العصور القديمة. فيه تجد امثال هكاتوس وايرخوس وفيثاغوروس واراتوستينيس الاسكندري العظيم. كل هؤلاء افادوا هذا العلم فائدة خالدة

ثم كيف انسى في هذا المقام اسم هيرودوتوس العظيم الذي يعد تاريخه خزانة غرائب في التاريخ والجغرافيا. ومما يجب ان يذكر هنا اننا نرجع في هذه الايام الى مؤلفات هيرودوتوس للوقوف على معلومات قديمة تتعلق بقلب القارة التي تعيشون عليها. ولعمري لم يبق لديناشك في روايات فرعون نخو وستاسيس وهانو وكيف ان الاول سيّر سفينته في القنال الذي كان يمتد من النيل الى الخليج العربي ومن ثم الى الجنوب وكيف امر بحارتها بمواصلة السير الى الجنوب والعودة من خلال اعمدة هرقل الى مصر. والسبب الذي ذكره هيرودوتس للارتياب في صحة اخبار هذه الرحلة اقوى الادلة التي تؤيدها — وهو ان الشمس صارت على يمين البعثة حينما كانت تدور حول ليبيا في الجنوب. ومن الغريب ان ما ذكره عن افريقية وُجد بعد الابحاث الحديثة غاية في الدقة

وليس من رأي جغرافي بين اراء اليونان القديمة الناضجة ابعد اثراً في نشر المعلومات الجغرافية وتوسيعها في القرون التالية مثل الرأي الخاص بشكل الارض القائل انها قرص مستدير يجري حولها محيط هو منبع جميع المياه والانهار والعيون والبحار وانهُ يوجد بلا ريب شعوب تقطن وراء هذا المحيط. ثم تعددت الآراء خلال القرون التالية عن هؤلاء الشعوب وهل تمكن زيارتهم وهل هم مثل الشعوب التي تسكن البلدان المعروفة

والقول بكروية الارض اولاً كان يستلزم القول بوجود اناس في الجهة المقابلة من الكرة. فاتباع فيثاغورس قالوا ان الارض يجب ان تكون كرة لان الكرة اتم الاشكال وانها يجب ان تكون ساكنة لان السكون اكبر مهابة من الحركة وانها يجب ان تكون في مركز الكون لان ذلك هو مركز الشرف الممتاز. وبعد ان أُعلن هذا الرأي القائل بكروية الارض لم يهمل مع انهُ انقضت قرون كثيرة قبل ان تثبت صحتهُ برحلة القبطان مجلان المشهورة

ولم يكتف الرومان بنقل المعارف الجغرافية التي اتصلت بهم من اسلافهم بل وسعوها كثيراً بما كشفوهُ من الحقائق الجديدة حين انهماكهم بالحروب والفتوحات وانشاء المستعمرات وتوسيع نطاق التجارة. فكتّاب الرومان كانوا بارعين في رواية اخبار الاسفار والرحلات ووصف البلدان النائية عن ايطاليا وتلخيص ما كان معروفاً عن سطح الارض في الايام السابقة لايامهم

واين نجد في تاريخ علم الجغرافيا كلهِ من افاد هذا العلم اكثر من كلوديوس بطلميوس الاسكندري؟ لقد مررت في طريقي الى القاهرة بالمدينة التي شاهدت اعمالهُ في تلك الايام السالفة ولا اريد ان اغادر هذه البلاد قبل ان ابذل شيئاً من الجهد لاعرف هل كان بطلميوس يقرن ابحاثهُ في العلوم الجغرافية بخرائط كالتي اعتدنا ان ننسبها اليهِ ؟ على اننا ندخل هنا مجالاً فيهِ كثير من الجدال ولذا لا اريد متابعة هذا البحث الآن

وصل التجار في ايام الامبراطورية الرومانية الى اقصى انحاء العالم المعروف في الشرق والغرب فقد كانت جزائر كنار يا معروفة لديهم يكثرون التردد عليها ولكن هذه الجزائر جُهل موقعها بعد سقوط الامبراطورية الرومانية ثم كُشفت ثانية في القرون الوسطى . وعرفوا ايضاً بلاد الهند والشرق الاقصى وجمعوا حقائق كثيرة عن ثروة تلك البلدان الطائلة . وكان اهتمام رومية بالجغرافيا عملياً تؤيد هذه الحقيقة خرائطهم ولاسيما الخاص منها بالطرق . واذا تركنا النظر في الجغرافيا القديمة فاننا نترك عهداً كان هذا الموضوع يلاقي فيهِ اهتماماً علمياً حقيقياً وتدخل في عهد مدهش باساليبهِ البعيدة عن العلم وفروضهِ السقيمة وما يترتب عليها من النتائج المغلوطة ، ففي العهد الاول من القرون الوسطى المسيحية كان الاهتمام بالجغرافيا من اجل الجغرافيا نفسها قليلاً لان الروح الديني كان مسيطراً على الغرب فلم يبدُ من الغربيين اهتمام بالجغرافيا الاَّ اذا رأوا فيها وسيلة الى غاية دينية . ولكن كتابات الكتَّاب الذين جعلوا همهم تنوير معاصريهم في ذلك الزمن تحوي بعض الآراء القديمة في الارض وما عليها كما يظهر من الخرائط التي وصلت الينا من ذلك العهد . فانك تجد بليني وسترابون يُذكَران في روايات سولينوس او ان مقامها الرفيع يعود الى ما ذكرهُ عنهم في قصصهِ

اما قزما انديكوبلنتس فوجد كتب العبرانيين الدينية مصدراً كافياً لكل المعارف الجغرافية التي يحتاج الناس اليها وحين مطالعة كتابهِ « التبوغرافيا المسيحية » نجدهُ يذكر المذاهب الجغرافية التي سبقت مذاهب العبرانيين ثم يبين ما فيها من الخطإ

ومعظم الكتَّاب في هذا العهد الذين يُعرَفون بآباء الكنيسة لم يكونوا يهتمون كثيراً بجمع معارف دقيقة عن سطح الارض . وسلطتهم في الامور الدينية التي لم يجرؤ احد على مقاومتها جعلت لآرائهم الجغرافية مقاماً خاصاً فسار علم الجغرافيا في مجارٍ ضيقة وثُبطت عزيمة كل باحث كانت غايتهُ جمع الحقائق العملية عن البلدان القريبة والبعيدة

كذلك نحن مدينون بكثير من معارفنا الجغرافية للحجاج والمرسلين والتجار مع ان معظم الحقائق التي جمعوها كانت ثانوية في اعتبارهم

وبينما كانت المسيحية قائمة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد مختلطة، كانت الشعوب العربية تنمي معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية والفلكية. وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقاً للقواعد اليونانية ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرح ابحاثهم المستقل الخاص بهم

وقد وضع ابو الحسن علي المعروف بالمسعودي الذي سافر اسفاراً كثيرة في اواسط القرن العاشر، مؤلفاً سماهُ : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » روى فيهِ كثيراً مما يدل على ان شعبهُ كان شديد الاهتمام بالتجارة والاسفار البعيدة والارتياد واستقاء المعلومات التي اخذها الخلف عن السلف. وتلك الادريسي، احد مواطنيه، يأراء اليونان الصحيحة، ومنها الاعتقاد بكروية الارض ولو انهُ ارتاب في وجود منطقة آهلة بالسكان في الجنوب لانهُ كان يعتقد بوجود بحر الظلمات، وان كل سعي للوقوف على اسرارهِ مقضي عليهِ بالفشل

وكان العرب يعرفون البحار الهندية ويسافرون فيها لانها كانت طريقهم التجاري المطروق، كما كانوا يعرفون شواطىء افريقية الشرقية والغربية جنوبي خط الاستواء. وقد دون المستر ده لارنبيه هذه الحقيقة في مؤلفاتهِ الحديثة ولكن ما نعرفهُ عن ثقة يستدل منهُ ان العرب لم يتوغلوا في الاتلانتيكي للبحث عن اراضٍ وراءهُ فلم يظهروا في ذلك شجاعة رجال الشمال ولا جسارة الطليان الاول

وجنى العالم الاوربي فوائد كبيرة في علم الجغرافيا من هجرة الشعوب الكندناوية في القرن الحادي عشر على ان هذه الفوائد الكبيرة الدائمة لم تجن لان الشعوب الكندناوية كانوا رواداً من الطبقة الاولى اجتازوا البحر الى غزيرة بريتلندا وما وراءها ولا لانهم داروا حول الرأس الشمالي وارتادوا ثنايا البحر الابيض وفتحوا كثيراً من البلدان في الشمال الشرقي من اوربا بل لانهم هاجروا الى بلدان مختلفة وانشأوا فيها مستعمرات كثيرة. فاليهم يعود الفخر في تجديد الدم الاوربي واحياء النشاط الاوربي من جديد فبعثوا في الشعوب المسيحية شيئاً من العزم الذي يحركهم فبدأت ثانية في توسيع المعارف الجغرافية التي كانت قد اهملت بعد انحطاط الامبراطورية الرومانية

هذه كانت مهمة اهل الشمال المعروفين « بالنورس » او « الفيكنغ » اما الادوار

التالية من النهضة الاوروبية فقد واصل رجالها العمل الذي بدأه سكان الشمال وتعهدوه بالعناية الى التمام

وحين انتهى عهد الحروب الصليبية التي ساعدت على توسيع المعارف الجغرافية، ورحل فيه الاوروبيون لاسباب دينية فقطنوا في بلاد مخالفيهم في الدين لاسباب تجارية — اقول في السنوات الختامية لهذا العصر نقرأ عن الاعمال المهمة التي قام بها بعض الايطاليين مثل كاربيني وروبروكي وماريتيولو الذين عرفوا كيف يدونون في اخبار اسفارهم اموراً ذات شأن جغرافي كما دونوا اموراً ذات شأن ديني. ومع علو كعبهم في تاريخ الجغرافيا ليست لهم المكانة الرفيعة التي لاسرة بولو البندقية. فللكتاب الذي وضعه ماركو بولو مقام رفيع بين الاسفار الجغرافية في القرون الوسطى فهو قصة جديدة لرحلة من الغرب اجتاز فيها الممالك القديمة ووصف بدقة نادرة ما يشاهده المسافر من ايطاليا الى ما بين النهرين وبلاد فارس ومرتفعات اسيا الوسطى وصحراء غوبي ومروج منغوليا الى الصين والبحر الاصفر. انها قصة شائقة نادرة ومن الصعب ان يقاس ما كان لها من الاثر في الغرب. انها تمثل اعلى مستوى بلغه كتّاب العصور الوسطى في رواية اخبار الرحلات. وما تم بعد ذلك من توسع اوربا تم معظمه عن طريق البحر

لم تجن اوربا فائدة من البعثات التي ارسلها سكان الشمال الى مياه الاتلانتيكي لان وجهة اوربا كانت الى الشرق فلم تتم الخطوة الكبرى التالية في سبيل التوسع الجغرافي العلمي الا عند ما تحول بحارة البلاد الواقعة في شمال البحر المتوسط الى التجارة والنقل البحري بهمة ونشاط، فلم يلبث بحارة المدن الايطالية التي ان استولوا على زمام الملاحة في البحر المتوسط ورسموا طرق البحار بمهارة غريبة، واتصلوا من بوغاز جبل طارق، وجابوا شاطئ الاتلانتيكي شمالاً وجنوباً بجرأة عظيمة، وصاروا يزدادون اقداماً ومخاطرة عاماً بعد عام، ويبثون روح العمل والارتياد في نفوس الامة التي تقطن الطرف الاقصى من اوربا الغربية واعني بها امة البرتغال التي شاءت الاقدار ان تصير بفضل ملكها العظيم هنريه الملاح في مقدمة الرواد الذين مهدوا لغيرهم الطريق. وليس هذا مجال الافاضة في ذكر الخدمات التي قام بها هذا الملك الجليل، والتي كانت بمثابة وحي لاعمال الارتياد ولكن اقول باختصار ان فضله يتلخص في تصميم بفرة عظيمة واصرارهم على تنفيذها وفيما جاء بعد ذلك من الحوادث السريعة كارتياد شواطئ افريقية وسير السفن حول رأس الرجاء الصالح واكتشاف العالم الجديد وفتح

الطريق البحري الى الهند وملقا والصين، ثم اكتشفت استراليا قبل مضي قرن على اعمال الاكتشاف المتواصلة

واذا كانت هناك بعثات ارسلت الى شاطىء افريقية في القرن الخامس عشر فقد كانت هناك بعثات اخرى الى الاتلانتيكي ، لم يدون كثير من اخبارها ، تحدو اصحابها فكرة احتمال العثور على اراض وجزائر جديدة . وخير ما لدينا من تاريخ هذه الرحلات ، الخرائط التي رسمت في ذلك العهد . نعم ليس من السهل فهم كل ما فيها ولكن يجد الناظر اليها لذة ومغزى عظيمين

ولم يكن بين جميع الذين سلكوا البحار وقاسوا اهوالها اعظم من خريستوفورس كولمبوس وقد كان عملهُ جرأة عظمى لا لانهُ وضع خطة للبحث عن الهند الشرقية بالسير الى الغرب فانا اعتقد كل الاعتقاد ان ذلك لم يكن جزءًا من خطتهِ الاصلية بل لانهُ كان ينوي العثور على جزائر وبلدان اخرى . على ان الاعمال التي انجزتها رحلاته تجعل الفضل يعود اليهِ في ايجاد الطريق غربًا . ومن الآن فجتاز الحدود وندخل في الجانب عهد من توسع المعارف الجغرافية . ولا استطيع ان اسير الى ابعد من ذلك في هذا المقام متتبعًا هذا المسلك فالموضوع لا يستنفدهُ البحث

واذا كان لا بد لي من ان اشير بكلمة الى توسع العلم بعد ذلك وأتتبعهُ حتى هذا الوقت فانني اشير الى سرعة تناقص الاقطار التي لم تكشف بعدُ والى الحماسة التي يندفع بها المكتشف في هذا الزمن الى مغامراتهِ . ولا بد لي من التنويه بالدروس الكثيرة في فروع عديدة من هذا العلم وهي الفروع التي اصبحت تعد ذات شأن كبير وفائدة عظمى كالجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الانثولوجية والجغرافيا الرياضية والجغرافيا التصويرية والجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية والجغرافيا التاريخية والجغرافيا الحيوية . وفروع اخرى تدعو الى دروس عميقة

فهذه الفرصة وامثالها هي التي تدعو المشتغلين بالجغرافيا الى بذل مساعٍ جديدة

يا صاحب الجلالة

انني واثق بان جميع الذين نالوا مزية الحضور والاشتراك في هذا المؤتمر العظيم قد اثر في نفوسهم ما تولد بهِ من العواطف الودية السامية وانهم سيحملون الى بلادهم اجمل التذكارات وافيدها

خطاب زيور باشا

رئيس الوزارة المصرية

يا صاحب الجلالة

يا اصحاب السمو ، و يا اصحاب الدولة والمعالي والسعادة ، و يا جناب الرئيس

سيداتي وسادتي

قال الخديوي اسماعيل العظيم بحق وفخر « ان بلادي لم تعد في افريقية بل هي جزء من اوربا »

أتجمل ايها السادة غير ان ذلك ليس سوى لمحة من مجدنا ووجه من تطورنا الجميل

فان مصر بآثارها العديمة النظير ومدافنها الضخمة واهراماتها وما فيها من تماثيل ابي الهول وتخطوطاتها الهيروغليفية الثمينة واوراقها البردية الكهنوتية وبما لها من فن متقن وصناعة دقيقة يرجع عهدهما الى خمسة آلاف من السنين ويتمثلان للعالم في فجر كل عصر جديد لهي سيدة اقدم المدنيات في أبهى العصور الحالية

بل هي ايضاً ولاسيما اليوم كما كانت في الامس وكما كانت في عهد الفراعنة والرعاة والبطالسة والقياصرة والخلفاء قلب العالم المعروف وغير المعروف وعقد اتصال المسالك الكبرى التي رسمتها القدرة الالهية وموضع تقابلها والنقطة المركزية التي تتجه نحوها وتتشعب منها طرق المواصلات بين شعوب الشرق والغرب في الشمال وفي الجنوب

فمصر هي جزء من جميع القارات لوقوعها على طريقها واني لعلى يقين من ان ذلك هو السبب الاول لزيارتكم فقد جئتم لتؤيدوا باتتسكم هذه الحقيقة الواقعة

لذلك قد رغبت حكومة جلالة ملك مصر وانا أؤكد لكم ذلك، باسمها في الاشتراك في هذا المظهر العظيم الذي لم يفتها ادراك دلالته واهميته فان مصر التي تعد كما قلت من اهم المراكز الجغرافية والتاريخية في العالم تطمح بما لها من هذه المزية الاكيدة الى القيام ليس فقط بنشر الافكار الاجتماعية الجليلة والآراء الصالحة للمجتمع الانساني في جميع انحاء العالم بل ايضاً ببث حسنات العلوم الآخذة في الازدياد

فبفضل العناية النيرة التي يبذلها حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم حفظهُ الله وبفضل الرعاية الدائمة التي لا يفتأ جلالتهُ يسديها لترقية معاهد البلاد العلمية والاجتماعية

والاقتصادية والخيرية سيكون في وسع مصر ان تستمر على تعميم العلوم بين ابنائها في احراز المركز الذي يحق لها للسير في طليعة المدنية الحاضرة لتبقى في المستوى الذي كان لها في ابعد عصور الحضارة القديمة اذ كانت صاحبة القدح المعلى فيها بلا جدال

قد امكنكم ايها السادة ان تلاحظوا او انكم ستلاحظون بأنفسكم عند زيارة دور عادياتنا وآثار ملوكنا الاقدمين المظاهر المدهشة لآثار العلوم العجيبة في جميع الميادين حتى في ميدان الجغرافيا وهو ما يهمكم ايها السادة بنوع خاص

ان الجمعية الجغرافية الملكية المصرية التي انشأها اسماعيل العظيم منذ خمسين سنة استطاعت ان تجد في طي الغابر آثار ما شغل ملوك مصر القدماء من الارتياد والاسفار ولهُ شاهد واضح من معبد الدير البحري العجيب النحت الذي اقامتهُ الملكة هاتشبسيت اوهاتاسو من الاسرة الثامنة عشرة وفيهِ مناظر مفصلة كاملة من الرحلة الى ارض البونت في الجنوب الشرقي من البحر الاحمر طلباً للبخور وغيره من محصولات المناطق الحارة . وقد امكن بالنهضة الجديدة التي دفع اليها حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول اعمال هذا المعهد الجليل توسيع نطاق الاكتشافات التاريخية والجغرافية التي تحققت وزيادة نشر اخبارها . هذا الى ان القاهرة هي مصدر ومورد اكثر علماء رواد القارة السوداء الواسعة الارجاء امثال ليفنجستون وساموبل بيكر وابين وستانلي وشوينفورث وبرونود لابوري وحسين

واذا ألمعت الى جميع هذه الاعمال وهذه الجهود القديرة وهذه المظاهر المتعددة لفرع جذاب من العلم فاني لا اقصد بذلك ان اعرب بنوع خاص عن فخر بلادي — وان حق لها الافتخار — بانها الحارسة لكل تلك التحف الفنية وتلك المقتنيات الجديدة من قبر توت عنخ آمون وقبور الجيزة وهي اصدق بيان للعلم الذي اوجدهُ واتقنهُ اجدادنا القدماء . بل اقصد ايضاً ان اعبر لدى جمهور العلماء عما يملأ اليوم نفوس المصريين وهم اصحاب ذلك الارث المجيد من الرغبة الشديدة في اظهار اهليتهم لهذه الحضارة العظيمة

واننا لنعدُّ من دواعي فخرنا ان نأخذ بنصيب فعلي في النهضة العلمية والاقتصادية والادبية التي شملت العالم لاننا نشعر من انفسنا شعوراً قوياً بان هذا فرض توجبهُ علينا تقاليد اسلافنا ومركزنا الجغرافي الاستثنائي من كل وجه

فاسمحوا لي اذن ايها السادة ان اعرب لكم عن مبلغ شعور حكومة جلالة ملك مصر

بالشرف الذي اسديتموهُ اليها بقبول دعوتها في عقد جلسات مؤتمركم الجغرافي الدولي الحادي عشر في عاصمتها وارجو ان تحفظوا من اقامتكم بيننا اجمل الذكرى واثمنها كما ارجو ان تتفضلوا فتعيدوا لنا يوماً ما هذه الزيارة الميمونة

اقسام المؤتمر

وفي صباح الخميس في ٢ ابريل عقد المؤتمر جلسة عامة برآسة الجنرال فاكلي فابلغ الرئيس الاعضاء ان الاقسام ستكون خمسة وطلب اليهم اختيار رئيس ووكيل رئيس لكل منها فكانت النتيجة كما يلي

القسم الاول — الجغرافيا الرياضية والجيودزيا ورسم الخرائط الجغرافية رئيسهُ الجنرال فرنسيس يونجهزبند (انكليزي) ووكيل الرئيس المسيو اوتوسكي (بولوني)

القسم الثاني — الجغرافيا الطبيعية رئيسهُ المسيو مرجري (فرنسوي) ووكيل الرئيس السنيور فاريتالي (ايطالي)

القسم الثالث — الجغرافيا الحيوية والجغرافيا البشرية رئيسهُ دون جوزي ايس اي رودريغس (اسباني) وكيل الرئيس السنيور ليكوتي (ايطالي)

القسم الرابع — الانثروبولوجيا او علم الاجناس رئيسهُ عبد الرحمن بك عثمان (مصري) ووكيل الرئيس المسيو فلور (فرنسوي)

القسم الخامس — تاريخ الجغرافيا والجغرافيا التاريخية رئيسهُ المسيو المانجيا (تشكوسلوفاكي) ووكيل الرئيس المسيو دي لارونسيير (فرنسوي)

ثم انتخب كل من صاحب الدولة عدلي يكن باشا وكيلاً اولاً لرآسة المؤتمر والاميرال السر جون بري وكيلاً ثانياً وادولف قباني بك سكرتيراً عاماً

واجتمع كل من هذه الاقسام على حدة فقرأ الاعضاء خلاصات محاضراتهم وستعنى الجمعية الجغرافية بنشر هذه الخلاصات بالعربية وعددها نحو ٩٠ اصحاب ١٢ منها مصريون

اليوبيل الخمسيني للجمعية الجغرافية المصرية

واحتفل المؤتمر في الساعة الرابعة من بعد ظهر الخميس في ٤ ابريل بانقضاء خمسين سنة على تأسيس الجمعية الجغرافية الملكية المصرية فحضر هذا الاحتفال اكثر اعضاء

المؤتمر ونخبة من الوجهاء يتقدمهم مندوب جلالة الملك صاحب المعالي سعيد ذو الفقار باشا وجلس كل وفد من الوفود الدولية في المكان المعد لهُ في قاعة الجمعية

وكان قطاوي بك السكرتير العام للجمعية والمؤتمر يتدم الخطباء فبعد ان وجه كلمة شكر الى صاحب الجلالة الملك لتفضلهِ بايفاد رئيس امنائهِ لحضور هذا الاحتفال التذكاري بالنيابة عنهُ بدأ الجنرال فاكلي ليتولى الرآسة الشرفية في هذه الجلسة التاريخية

ثم تعاقب الخطباء فخطب المسيو فوكار رئيس الجمعية الجغرافية المصرية خطاباً مسهباً ضمنهُ تاريخ الجمعية من اول عهدها وسرد ما اسدتهُ من الخدمات الجليلة الى العلم

وعقبهُ نائب رئيس الجمعية الجغرافية الملكية بلندن فتلا خطاباً موجهاً من جمعيتهِ الى الجمعية الجغرافية المصرية وبعد ما فرغ من تلاوتهِ قال بالفرنسوية ان جمعيتهُ اختارت جلالة الملك فؤاد عضواً فخرياً فيها وان جلالتهُ تفضل بالقبول

وتلاهُ المسيو بلو رئيس الوفد الفرنسوي واثنى على الجمعية الجغرافية المصرية واطرى اعمالها واشار الى ما لجلالة الملك من الايادي البيضاء عليها ثم قال ان الجمعية الجغرافية الفرنسوية بباريس « ارادت ان تبرهن بقدر ما تسمح لها بهِ وسائلها الضعيفة على ما تكنهُ من الاعتبار العظيم لجلالة الملك فؤاد والاعتراف بفضلهِ فقررت ان تعرض عليهِ قبول عضويتها الشرفية فتفضل جلالتهُ وقبل »

ثم تكلم المندوب الايطالي بالايطالية وقال ان الجمعية الجغرافية في رومية قررت ما قررتهُ زميلتاها في باريس ولندن واعرب عن املهِ بان يساعد ذلك على توثيق عرى الالفة والمودة بين البلادين ادبياً واجتماعياً

وارتجل الجنرال يوشجهزبند خطبة الانكليزية ضافية عن الجمعية الجغرافية المصرية ومركز مصر الدولي من الوجهة الجغرافية

ثم اعتلى المنبر الدكتور مورتن هاويل وزير اميركا المفوض في مصر وخطب الخطبة التالية

خطبة الدكتور مورتن هاويل

سيدي الرئيس وحضرات اعضاء المؤتمر الجغرافي الدولي

لديَّ في هذه الفرصة مهمة سارة جداً اريد القيام بها تلبية لطلب المستر هنري بريانت رئيس الجمعية الجغرافية في فلادلفيا باميركا . وهذه المهمة التي هي فخر باهر

وامتياز عظيم لتعلق بأحد اعضاء هذه الجمعية المحترمين وهو رجل الجبتهُ الحضارة المصرية ذو مقدرة طبيعية واكتسابية نادرة ، اقول هذا ولو ان ذلك خارج عن الموضوع الذي نريد ان نتكلم فيهِ بصفة خاصة في هذه الفرصة

واني اذكر الاعمال الجليلة التي عملها احمد حسنين بك الرحالة المشهور بأدبهِ وتواضعهِ واختصاصهِ وشجاعتهِ واقدامهِ وهو الذي شرفهُ مليكه صاحب الجلالة ملك مصر بمناصب خطيرة تقلدها كلها بشرف ونبوغ على انهُ لم يظهر في هذه المناصب التي دلت على الثقة بهِ المزايا الجوهرية للعظمة الحقيقية ببهاء وفخار كما اظهرها باعمالهِ الجليلة في ارتياد صحراء ليبيا من السلوم الى دارفور احابة لطلب جلالتهِ

حسنين بك

لقد وجبت الى هنا الكلام الى اعضاء هذه الجمعية العظيمة بصفة عامة ولكني اريد الآن ان اوجه الكلام الى شخصك قليلاً فاؤكد لك انهُ يسرني جدًّا في هذا المقام ان اقدم اليك مدالية « الپشا كنت كين » بناء على طلب الجمعية الجغرافية بفلادلفيا وهي ارفع مدالية تقدمها هذه الجمعية . وقد وضعت في سنة ١٩٠٠ ولا « يجوز اهداؤها ستويًّا الاَّ الى الاشخاص الذين يسهم ثلاثة ارباع اعضاء مجلس الادارة ولا تهدى الاَّ مكافأة على مكتشفات او ابحاث جغرافية هامة تمت خلال السنتين السابقتين للمكافأة »

فانت يا سيدي بهذه المكافأة قد وضعت بين اعلام الرجال وصرت مع بيري واستدصن وسس هيدن وشاكلتون والكبتن روبرت سكوت وستفنسون جنبًا الى جنب ، وهم رجال بلغوا من النبوغ اعلاهُ . رجال اغنوا معارف العالم باعمالهم ويحق لي ان اقول ان الخدمة التي قمت بها لمليكك ولبلادك وللعالم بارتياداتك ومكتشفاتك في صحراء ليبيا وهي الخدمة التي من اجلها تقدم اليك هذه المدالية ، قد وسعت المعارف الجغرافية ، وزادت اسمك تألقًا وبهاء وفي الوقت نفسه زادت في بهاء اولئك الرجال الاجلاء الذين ذكرت اسماءهم والذين سيقرن اسمك باسمائهم من الآن فصاعداً

فباسم الجمعية الجغرافية بفلادلفيا وباسمي الشخصي اود ان اهنيك بعملك هذا الذي ربما كان اعظم عمل قمت بهِ والآن لي الشرف والسرور ان اقدم اليك هذه المدالية الجميلة »

ولما فرغ من القائها وافاهُ حسنين بك الى اعلى المنبر فتناولهُ جنابهُ المدالية الذهبية

التي اهدتها اليه الجمعية الجغرافية بفلادلفيا وخطب خطبة انكليزية بليغة هذه ترجمتها

خطبة حضرة بك

جناب الدكتور هاويل

ان الكلمات الرقيقة المملوءة اطراء تجاوز الحد والتي يلتمتوني بها سعادتكم اهداء مدالية « اليشا كوت كين » من الجمعية الجغرافية بفلادلفيا قد تركتني في حياء وخجل حتى انهُ ليصعب عليّ ان اجيبكم بعبارات لائقة من الشكر على اعظم شرف كافأت بهِ الجمعية أعمالي الصغيرة بكرم وسخاء

ان الغبطة التي شعرت بها حينما تمت بوقوع الاختيار عليّ لمدالية « اليشا كنت كين » قد تضاعفت بذكرى الاشهر السعيدة القصيرة التي قضيتها في السفارة المصرية بواشنطون حيث تعلمت ان احب بلادكم العظيمة وأحترم سكانها

ان هذه الجمعية الجليلة الممتازة ، بما اظهرتهُ من الكرم في تقدير خدماتي الصغيرة ستشد عزمي الذي استقر عليهِ رأيي من زمان بعيد وهو ان اعزز بكل ما لدي من وسيلة روابط الصداقة الخالصة التي تربطني دائمًا بمواطنيك

لقد تفضلتم سعادتكم فقلتم انني سأكون واحداً من اعلام الرجال الذين ينتمي اليهم حقًا بيري وامندسن وسكوت وغيرهم من عظماء الذين ذكرتم اسماءهم فاوليتموني شرفًا لا استحقهُ ولكن هل لي ان افسر عطفكم كما افهمهُ ؟ انت كلمة « اعلام » الرجال التي اشرتم اليها في « المجرة » على ما اعتقد التي تشتمل على كواكب من جميع الاجرام واكبر هذه الكواكب يبهر العين المجردة على حين يستطيع اقوى منظار في مرصد جبل ولسون رؤية الكواكب الصغرى فيها بشيء من المشقة

ولا يسعني ان اختم كلمتي دون ان اقدم امتناني المقرون بالولاء لمليكي العظيم صاحب الجلالة الملك فؤاد الذي لولا تشجيعهُ المنطوي على الذكاء والعطف ومعاونتهِ الفعلية لاستحالت عليّ رحلتي الاخيرة . وان الاهتمام العظيم الذي يبديهِ جلالتهُ بالمباحث الجغرافية يشرف المشتغل بفن الجغرافيا . ولعمري ان هذه الحمية التي يظهرها حاكم يقف حياته كلها على رفاهية رعاياهُ ورقيهم تعد في صدد هذا العلم العظيم الذي يربطنا كلنا هنا اليوم لا مثيل لها تقريبًا

و في الختام ارجو من سعادتكم ان تبلغوا رئيس الجمعية الجغرافية بفلادلفيا ومجلس

ادارتها تقديري وشكري القلبي على الشرف العظيم الذي اولوني و بلادي اياهُ بمنحي هذه المدالية ، مدالية « الپ كنت كين »

***

ثم وقف الخزال فاكلّ فاعلن ان مجلس الاتحاد الجغرافي قد عين احمد حسنين بك وكيلاً للرئيس وهذا نص الكتاب الذي تلقاهُ حسنين بك من سكرتير مجلس الاتحاد الجغرافي العام

عزيزي حسنين بك

يسرني ان ابلغك انهُ قد تفضل جلالة الملك فؤاد الاول فرضي ان تشرف اللجنة التنفيذية للاتحاد الجغرافي العام بان تعينك بوظيفة وكيل الرئيس للاتحاد وتظل في هذه الوظيفة للاجتماع القادم للمؤتمر الجغرافي الذي يرجح عقده في ١٩٢٨ .

وارجو ان تتفضل بافادتي عن العنوان الذي ترسل اليهِ مكاتباتك كلوز

ثم تكلم المندوب الاسباني بالاسبانية وعقبهُ احد المندوبين البولونيين ثم المندوب السويسري وكان آخر من تكلم المندوب الياباني فتلا خطبة وجيزة بالانكليزية

الحفلات الاجتماعية

ودعي اعضاء المؤتمر اثناء اقامتهم في مصر الى حضور حفلات كثيرة غاية في البهجة والاتقان واقيمت لهم ليلة ساهرة في قصر عابدين بدعوة من جلالة الملك . ودعاهم صاحب الدولة عدلي يكن باشا الى ليلة ساهرة في فندق سميراميس وتناولوا الشاي في سفح الاهرام بدعوة من جلالة الملك فناب عن جلالتهِ فيها احمد بك حسنين . واعدت لهم مأدبة عشاء في فندق هليو بوليس بدعوة من لجنة اعداد المؤتمر

وعينت هذه اللجنة بتنظيم زيارات عملية اثرية الى سقارة والقناطر الخيرية وجوامع القاهرة وكنائسها ومتحف الآثار المصرية ومتحف الآثار العربية ودار الكتب الملكية

والفائدة من هذه الاجتماعات والحفلات ليست كبيرة بذاتها بل بتسهيل سبل التعارف والتعاون بين العلماء والباحثين من مختلف البلدان ولا غروَ فالعلم ليس لهُ وطن فهو ارث شائع لجميع الناس يشتركون في وضع اصولهِ وفيما ينجم عنهُ من الفوائد

الجلسة الختامية

عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر في قاعة الجمعية الجغرافية بعد ظهر الخميس في ٩ ابريل فافتتح الحفلة جناب الرئيس بعبارات وجيزة ثم قال ان سكرتير الجمعية سيتلو على الحاضرين الاماني والرغبات والاقتراحات التي قررتها لجان المؤتمر الخمس في الجلسات التي عقدتها وهي :

— ١ —

يؤيد المؤتمر الجغرافي الدولي العام المجتمع في القاهرة المقترحات التي وافق عليها الاتحاد الجغرافي الدولي في ما يتعلق بانشاء ادارة نشر جغرافية دولية واتخاذ افضل الوسائل لتحقيق ذلك

ويوافق على الاتفاقات المبرمة بين الجمعية الجغرافية الفرنساوية والجمعية الجغرافية الاميركية والجمعية الجغرافية الايطالية لزيادة نشر الاعمال الجغرافية السنوية في ملحق او ذيل للمجلدات الجغرافية

ويتمنى هذا المؤتمر فوق ما تقدم ان تكثر الجمعيات الجغرافية من عقد الاتفاقات في هذا الصدد . وتحسب النشرة الجغرافية التي تصدرها الجمعية الجغرافية الفرنساوية في كل سنة بمثابة وسيلة للتشورات الجغرافية الدولية التي يرغب فيها الجميع

— ٢ —

يقترح المؤتمر الجغرافي الدولي المنعقد في القاهرة ان يجري البحث في المسائل المتعلقة بخريطة العالم بمقياس ١ من مليون وهي المسائل التي اقترحها المكتب العام ، في خلال السنتين او السنوات الثلاث الآتية بواسطة هذا المكتب وبالاتفاق مع الحكومات ذات الشأن انتظاراً للقرارات النهائية التي يتخذها المؤتمر الجغرافي العام الذي يعقد في لكسمبرغ سنة ١٩٢٨

— ٣ —

يرى المؤتمر الجغرافي الدولي العام المنعقد في القاهرة ان فائدة الفيتاتوغراف في التعليم الجغرافي ونشر هذا التعليم هي فائدة مقررة لا تقبل الجدل ويتمنى ان يدرس الاتحاد الجغرافي العام بوجه خاص طريقة اتخاذ الرسوم (العلم) التي تعين لهذا الغرض التدريسي

لاسيما العلم الذي يرسمهُ الرحالون في الاكتشافات والمباحث فان لهُ من هـذا الوجه الشأن الاكبر

— ٤ —

يرى المؤتمر الجغرافي الدولي العام المنعقد في القاهرة ان للبيانات الطوبوغرافية التي تتضمنها المستندات عن مصر في العهد اليوناني والروماني علاوة على ما لها من الاهمية العلمية يمكن ان يستنتج منها مبادئ عامة للتشريع والاقتصاد والادارة والجنسية والعنصرية . فبناء على ما تقدم يقترح المؤتمر ان تفحص جميع الاوراق الموجودة في حيازة الامم من هذا النوع لما يترتب على ذلك من فائدة التضامن للوصول الى نتيجة مقررة تامة من جمع هذه المستندات

— ٥ —

ان المؤتمر الجغرافي الدولي العام بعد ان يحيي ذكرى البرنس البرديي موناكو الذي اسفرت عنايتهُ بدروس البحار والاوقيانوسات عن نتائج مهمة يقترح نشر الجداول المتضمنة سبر غور البحار التي اعتمد عليها في انشاء خريطة التياسات المترية العامة لاعماق البحار

— ٦ —

يتمنى المؤتمر الجغرافي الدولي العام ان يتضمن برنامج المؤتمر الدولي الآتي جغرافية السكن والمساكن في المدن وان تؤلف لجنة لتضع جدولاً للاسئلة بهذا الصدد وان تتخذ الطرق اللازمة لجمع الاجوبة على ذلك وترتيبها

— ٧ —

يتمنى المؤتمر الجغرافي الدولي العام نشر خريطة مورفولوجية عامة طبقاً لقرارات المؤتمر الدولي الذي عقد في جنيف وان يتولى ذلك المسيو بروتس والمسيو شاي والمسيو مرتون وان تكون هذه الخريطة مصنوعة بالرسوم والخطوط وان تعين الاسماء المترادفة في لغات عديدة وان يكون ذلك كلهُ تحت رعاية الاتحاد الجغرافي العام

— ٨ —

يقترح المؤتمر الجغرافي الدولي العام المنعقد في القاهرة نشر خريطة المناطق الخاصة المغمورة من صرف الماء الى البحر على نحو ما بسطهُ المسيو عمانوئيل دي مرتونـــ هذا المؤتمر وان يتولى هو نفسهُ نشر ذلك

— ٩ —

في الجلسة الاخيرة التي عقدها قسم جغرافية البحار في الاتحاد الجغرافي الدولي اقترح المسيو باخوندا كي مندوب الحكومة الملكية المصرية على اللجنة الدولية للاكتشافات العلمية للبحر المتوسط انشاء لجنة دولية عامة لدرس البحر الاحمر تقوبل هـذا الاقتراح بالموافقة العامة بحضور المندوبين الرسميين للدول صاحبة المصالح في البحر الاحمر. ولمناسبة اجتماع المؤتمر الجغرافي في الاراضي المصرية توافق هيئة المؤتمر على ما يأتي :

نظراً للمنافع العديدة التي تنجم عن هذا الاقتراح من الوجهة الاقتصادية والمصايد ومن وجهة الملاحة وجميع الاعمال البحرية وجميع الصناعات المتفرعة عن حالة البحر ونظراً لانتفاع العلم الجغرافي على وجه عام يقرر هذا المؤتمر الجغرافي الدولي العام المجتمع في القاهرة اتخاذ الامنية التي اعرب عنها في مؤتمر علم البحار كأنها امنية منه . ويوصي المجلس الدولي للباحث ان يوليها عنايته واهتمامه

***

خطبة مصطفى ماهر باشا

ثم اعطى صاحب السعادة مصطفى ماهر باشا نائب رئيس لجنة اعداد المؤتمر وخطب خطبة بالعربية كانت اول خطبة عربية في المؤتمر ثم تلا ترجمتها بالفرنسوية وهذا نصها

سيداتي . سادتي

انني لسعيد بالوقوف بينكم اليوم لالقاء كلمة بلغتنا العربية لتكون سلك الختام في جلسة المؤتمر الختامية التي كنا نحب ان لا يخل موعادها بهذه السرعة القاسية . تشرفنا بلقياكم والترحيب بكم في ديارنا قديمة العهد وسعينا للتعرف بمثل الشعوب المزينة جامعتهم باكاليل فخر فازوا بها في ميادين العلوم المجيدة موفقنا في علاقاتكم الى معرفة ما تكنه الانسانية من جمال اللطف وجلال الفضيلة وما تدخره العلوم من كنوز ادبية ثمينة ويغلب على ظني انكم وجدتم منا اناساً فرحين لوفادتكم وتلاميذ مكبين اساتذتهم مصغين بكمال الوجدان لما القيتموه عليهم من المحاضرات والدروس المفيدة وكنا نتمنى ان يطول مكثكم بيننا لتوثيق الصلات وتحكيم العلاقات لكي نزداد غرقاً من بحر عرفانكم ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه وتكل امر في الدنيا نهاية ثم انه لا يجوز لنا ان نغالي في الانانية الى حد حرمان شعوبكم من انوار علومكم زمناً طويلاً

اذكر من الخطبة النفيسة التي القاها صاحب السعادة الجنرال فاكلي رئيس مؤتمرنا الجليل في حفلة الافتتاح قوله ان هذا المؤتمر هو اول مؤتمر عقد برعاية الاتحاد الجغرافي الدولي. اذن مصر اسعدها الحظ باجتماع اول مؤتمر جغرافي دولي منظم على اساليب الاتحاد الحديثة فيها. وهي لسائل هل قامت بواجبها فنجحت التجربة الانجاح المنتظر. انها لتشرح صدراً اذا سمعت منكم ان مؤتمرها نال نجاحاً طيباً وفاز برضاء هيأة الاتحاد الجغرافي وحقق الآمال التي علقها عليه مؤسسو الاتحاد بالتفاؤل الذي اكده لنا صاحب السعادة الرئيس

مصر حينئذٍ تغتبط بانها عملت بقدر ما في وسعها لاحراز هذا النجاح وتعده مشجعاً لها على السعي في جعل دارها دار ضيافة المؤتمرات دولية علمية متنوعة

لقد ذكرنا لجناب المسيو بليو العالم الفاضل رئيس المندوبين الفرنسيين انه حينما عينت القاهرة مركزاً للمؤتمر الجغرافي هزّ بعض رجال الجد رؤوسهم واظهر آخرون ان الامر لا يمكن تحقيقه وانه بحسب المنطق كاد المتشائمون يكونون على حق بالنظر الى عظم الصعوبات

فالآن وقد انتهى المؤتمر بخير، تطمع مصر عند ما تسعى لعقد المؤتمرات العلمية في ديارها ان يعدل رجال الجد فكرهم فاذا هزوا الرؤوس كانت هزة استحسان وان يتبدل المتشائمون متفائلين فيجدوا ان من المنطق اجابة المسعى

عقد المؤتمر اوجد لنا فرصة مناسبة برز فيها عدد من صفوة المجتهدين من ابناء مصر فالقوا محاضرات طيبة وقدموا رسائل ومباحث في مواضيع جغرافية كثيرة. نعم ان عددهم لم يكن وافراً مخصوصاً مع اجتماع المؤتمر في بلدهم ولكن لا تنسوا يا سادتي ان تاريخنا العلمي المصري في بدئه وان شمس المعارف التي كانت تضيء بنورها الساطع الشرق ومصر في مقدمته غربت عنه وقطعت في دورتها في الغرب قروناً عديدة لكننا نؤكد لكم انها عادت ترسل اشعتها الى وادي النيل فلاح فيه بجزء من المعارف ولا يأتي وقت الضحى او ينتصف النهار حتى تروا عدد المتعلمين العاملين من المصريين آخذاً في النمو والزيادة مجاهداً في ميادين التنافس مع اساتذته الغربيين وثقوا ان ابناء مصر الحديثة يسعون سعياً حثيثاً ويكدون بجد لا يعطله ملل ليقنعوا العالم المتمدن بانهم جديرون بالانتساب الى سلالة قدماء المصريين الاماجد

سيداتي سادتي

ستعودون بعد ايام قلائل الى اوطانكم مزودين بالاكرام والسلامة فلا نقول لكم

الوداع لعلنا بان مثلنا السائر من يشرب مرة من ماء النيل لا بد لهُ من العودة ليشرب ثانيًا منهُ هو على حق لذلك نقول لكم الى الملتقى ان لم يكن في مؤتمر جغرافي قريب ففي مؤتمرات علمية اخرى مقبلة. ووصيتنا ان تحدثوا شعوبكم بما رأيتموهُ حقيقة في مصر وما شاهدتموهُ من احوالها واخلاق المصريين وان تقنعوهم بان الامة المصرية أمة أمن وسلام امة عمل وحزم قد شغفها حب العلم والتقدم فلا تكتفي بالقعود ساكنة على شواطىء نيلها العجيب الناثر عليها الذهب والدر بما يخرج لها من محصول اقطان يغني بها ثروتها المادية بل هي تصبو ايضًا الى ما هو اشرف واسمى من ذلك تصبو الى ثروة ادبية تقتنيها من محصول تهذيبي وتبحث عن اعذب مناهل العلوم لورودها وتغذية روحها منها وان هذه الامة لتتطلع للعلا وتسعى اليهِ من طريق العلم والعقل والفضيلة وانها تحفل باكرام الناس وتعرف جميل من يمد اليها يد المعروف وانها خليقة بعطف الشعوب المتمدنة ومؤازرتهم ومؤاخاتهم وان لها حقًا في الحياة بجانبهم

ورجاؤنا ان تؤكدوا لشعوبكم ان الامة المصرية الناهضة السامية التي يسهر عليها بعين يقظة ويرعاها بعناية ابوية ويعطف عليها بقلب سليم ويرشدها بحكمة واسعة ورأي سديد ملك سامي الخلق نير البصيرة عظيم الادراك ماضي العزيمة وهو حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول المحبوب مقدر لها حتمًا دوام النهوض والرقي الى معارج العلا حتى تتبوأ مركزها الطبيعي السامي بين الامم الراقية

***

ثم خطب الجنرال فاكلي وتلاهُ عدلي يكن باشا وتعاقبت بعدهما خطب رؤساء الوفود التي حضرت المؤتمر وكلهم نوهوا بما لقوهُ من الحفاوة والاكرام. واشار مندوب الوفد البلجيكي بالاعجاب الى ما عملهُ الجغرافيون المصريون وقال ان الجمعية الجغرافية الملكية البلجيكية انتخبت جلالة الملك فؤاد عضوًا شرفيًا فيها وان جلالتهُ تتفضل بالقبول وقد فعلت مثل ذلك الجمعية الجغرافية اليونانية

هذا والمؤتمر الجغرافي الدولي القادم سيعقد سنة ١٩٢٨ في انكلترا. وقد اعرب رئيس الوفد البولوني عن رغبة حكومتهِ في عقد المؤتمر الذي يتلوهُ في عاصمتها فرسوفيا

ثم وقف الجنرال فاكلي وقال « باسم صاحب الجلالة الملك اختم المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر »